شرعة ومنهاج

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

١٩

الشـــام

لقاءات علمية مرئية (مفرَّغة)

الفهرس

الشام [1] 1

- المراد بالشام 2
- فضل الشام 3
- فساد الأمة الإسلامية وعلاقته بفساد أهل الشام 6
- الفتنة والشام 7
- الجمع بين فضل الشام والفتن الواقعة بها 9
- الموقف الشرعي من الفتن الباطنية 11
- نصرة الشام 15
- نصرة الشام بالرجال 17
- أحداث الشام بين الفتنة والجهاد 19
- على من تجب نصرة الشام؟ 20
- تجهيز الغزاة بالشام 21
- وصايا لأهل الشام 22
- كلمات متفرقة حول أحداث الشام ووجوب نصرتهم 23

[1]) رابط الحلقة http://www.youtube.com/watch?v=_wvol8aVx-E

المراد بالشام

بالنظر إلى النصوص في كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ نجد أن المراد بالشام هي البقعة المتسعة التي تمتد من جهة نهر الفرات إلى ما يتعلق بالبحر المتوسط ويدخل في هذا فلسطين ولبنان والأردن وسوريا اليوم وشيئاً يسيرًا من جزيرة العرب وكذلك أطراف العراق .

والشام من جهة فضلها لها مراتب متعددة منها ما هو فاضل ومنها ما هو مفضول ، وأما بالنسبة لأفضل بقاع الشام فهي فلسطين وأفضل مواضع فلسطين هو المسجد الأقصى فقد بارك الله تعالى فيه وبارك فيما حوله كما في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾(الإسراء : 1) فجعل البركة متعدية فهي نقطة الفضل ثم تتباعد بعد ذلك ، وهذا من فضل الله تعالى على هذه الأرض المباركة ، وقد جاءت نصوص كثيرة من جهة فضلها كتاباً وسنة .

ومن جهة أصل تسميتها فقد اختلف فيه منهم من قال سميت الشام نسبة إلى سام بن نوح فجعلت هذه المهملة مُعجمة ثم أصبحت شاما ، وقيل سميت الشام باعتبار أنها شمال جزيرة العرب وهذا قول لبعض أهل العربية وذلك أن اليمن من جهة مكة هي يمين الكعبة وكذلك الشام شمالها فسميت شامًا ، وكلا الأمرين مُحتمل .

فضل الشام

ذكر الله تعالى فضل الشام في نحو تسع آيات في كتابه العظيم كماجاء فضلها في سنة النبي ﷺ في جملةً من النصوص .

يقول الله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الإسراء :1)

وسماها الله تعالى الأرض المقدسة كما في قوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾(المائدة :21) والمراد بالأرض المقدسة هي الشام .

وأقسم الله تعالى بها كما اء في كلام بعض المفسرين في قوله تعالى ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾(التين :1) قال بعض المفسرين كالحسن وقتادة ويروى أيضا عن عبد الله بن عباس المراد بالتين والزيتون هي فلسطين ودمشق وما حولها ، وذلك أن دمشق وما حولها هي منابت التين وكذلك فلسطين.

وجمهور العلماء من السلف من جهة تفسيرهم كمجاهد بن جبر وعبد الله بن عباس وغيرهم من المفسرين يرون أن المراد بذلك هي المأكولة من جهة الحقيقة وذلك أن التين المأكول من جهة الطعام ، وبعض العلماء يجمع ما بين القولين أن الله تعالى أقسم بالنبات إشارة إلى منابته وهي الأراضي التى تنبت فيه وهي معروفة من جهة الشام وهذا جمع حسن جمع بين القولين ، ويظهر والله أعلم إنما أراد الله تعالى الأرض وذلك أن للقرينة التى أقسم الله بها بعد ذلك في قوله ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ(1)وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)﴾(سورة التين) فأقسم بطور سنين بعد التين والزيتون وهو الجبل المعروف الذى كلم الله تعالى فيه موسى على كلام غير واحد من المفسرين كما جاء عن عبد الله بن عباس وعكرمة مولى بن عباس وجاء أيضا عن عطاء بن جبر وكذلك في قوله ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ المراد به البلد الحرام، فالقرينة تدل على أن المراد بذلك هو الأرض لأن الله عطف عليها ما أقسم به بعد ذلك ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وكذلك﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ تفضيلا منه سبحانه .

وجاء عن النبي ﷺ في تفضيل هذه البقعة جملة من النصوص في مواضع كثيرة منها :

1) ما جاء عَنْ نَافِعٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَنِنَا قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَفِي نَجْدِنَا فَأَظُنُّهُ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ هُنَاكَ الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) [٢] قالها النبي ﷺ ثلاثا وذلك والشام حينئذ كانت لم تفتح بعد .

2) ما جاء من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺقال (لاَ يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ إلى يوم القيامة) [٣] وحمل غير واحد من العلماء المراد بأهل الغرب هم أهل الشام كما فسر ذلك بعض العلماء كما جاء عن الإمام أحمد عليه رحمه الله وكذلك أيضاً فسر بذلك جماعة من الفقهاء من المتأخرين وكذلك ممن أعتنى بأبواب البلدان .

3) أنها أرض المحشر كما جاء عند الطبراني وغيره ، وجاء أيضا أن أهلها ممن اتبع الحق ظاهرون على أمر الله تعالى إلى أن تقوم الساعة كما جاء في حديث معاوية، رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ(لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ " . قَالَ عُمَيْرٌ: فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ: قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ. فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: هَذَا مَالِكٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاذًا يَقُولُ: وَهُمْ بِالشَّأْمِ) [٤] .

4) ربط خيرية الأمة بالشام كما جاء عن النبي ﷺ قال (إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ ، وَلَا يَزَالُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) [٥] والمراد بهذه الخيرية التي ربط الله تعالى بها بقية خيرية الأمة كأن الله تعالى قد جعل خيرية أهل الشام هي مقياس لصلاح هذه الأمة فإذا صلحت هذه البلدة إشارة إلى استقامة أمر أمة الإسلام ، وإذا ضعفت هذه البلدة فهي

---

٢) رواه البخاري (7094) الترمذي (3953) احمد (5987) ابن حبان(7301).

٣) رواه مسلم (1925)، وأبو عوانة (5/109-110) وأبو يعلى (783) والشاشي (1/204 رقم 159) والبزار (152 - مسند سعد) أو «البحر الزخار» (رقم 1222) في «مسانيدهم»، والدّورقي في «مسند سعد» (ص 195 رقم 116)، وابن الأعرابي في «معجمه» (1/174و3/586-587 رقم 298، 1156)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص 467)، وأبو العرب في «طبقات علماء إفريقيا» (ص 10)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (3/740-741 رقم 362)، وأبو نعيم في «الحلية» (3/95-96) -وقال: «حديث ثابت مشهور»- من طرق عن داود بن أبي هند، عن أبي عثمان، عن سعد بن أبي وقاص.

٤) رواه البخاري (3641) ومسلم (1037).

٥) رواه الترمذي (30/2) ، وأحمد (436/3 و 35/5) وروى ابن ماجه(1/ 6-7) الشطر الثاني .

أمارة على انكماش أمر الأمة واضطرابها وكثرة الفتن وهذا أمر معلوم ، فمنذ اضطراب أمر الشام تقسمت دول الإسلام وتصدع أمر الأمة إلى دويلات ظهرت فيها الأثرة وظهر فيها كل أحد على بلدته التى هو فيها فظهرت العرقيات والطائفيات والوطنيات في تقسيمها والأثرة من جهة المال فتنابز الناس من جهة ألقابهم وألوانهم وأنسابهم وضعفت اللحمة الدينية وتوجه الناس إلى لحمات أخرى منها الصلة الأرضية ومنها ما يتعلق بالأنساب والأحزاب والألوان فتقسم الناس أوصالا وأصبحت طبقة الولاء للإسلام دون ذلك مرتبة ترتفع عند أقوام وتضعف عند أقوام وترتفع في موضع وتضعف في موضع أخر .

5) فضل جندها كما جاء عن النبي ﷺ قَالَ (سَتُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا ، جُنْدًا بِالشَّامِ ، وَجُنْدًا بِالْعِرَاقِ ، وَجُنْدًا بِالْيَمَنِ ، قَالَ : فَقُمْتُ ، فَقُلْتُ : خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِّ ، قَالَ : عَلَيْكَ بِالشَّامِ ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ وَلْيَسْتَقِ مِنْ غُدُرِهِ ، فَإِنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ) [٦] وهذا إشارة إلى تعدد ثغور الإسلام وتنوعها فأرشد النبي ﷺ إلى جند الشام باعتبار أن صلاح هذه الأمة هو صلاح لبقيتها ، ويكفي في ذلك أن العلماء يتفقون على أن الشام من جهة فضلها هي الأرض الثالثة بعد مكة والمدينة فتكون مكة هي أفضل البقاع على قول جماهير العلماء ويأتي بعد ذلك المدينة ثم بعد ذلك يكون الشام فتثليث الشام من جهة الفضل هذا محل اتفاق عند العلماء ولا أراهم يختلفون في ذلك من جهة فضلها .

والمراد بالشام ليست هي سوريا على سبيل الخصوص وإنما هي من فلسطين من جهة الساحل الذى يكون على البحر المتوسط إلى ما يتعلق بنهر الفرات وتمتد إلى شيء من أطراف تركيا إلى أطراف مصر وشيء من جزيرة العرب وشيء من أطراف العراق ، وأفضل الشام هي فلسطين التي فيها المسجد الأقصى الذى أسرى الله عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام فيه ، وكلما بعدت تعدى في ذلك الفضل والله تعالى يجعل فضله وخصائصه فيما شاء من أرضه تعالى .

٦)رواه أبوداود من طريق أبي قتيلة عن ابن حوالة (388/1) وأحمد (110/4) ، و أخرجه الحاكم (510/4) وابن عساكر (47/1-56).

فساد الأمة الإسلامية وعلاقته بفساد أهل الشام

قال ﷺ (إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ ، وَلَا يَزَالُ أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يُبَالُونَ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ) [٧] ليس المراد في ذلك هو فساد أفراد الأمة ولكن فساد أمرها العام فإذا فسد أمر الشام العام فليُعلم أنه مقياس لفساد الأمة ، وليس المراد بذلك أن أفراد الشام أفضل من غيرهم فإن العلماء يتفقون على أن مكة والمدينة أفضل من الشام ولا يختلفون فيه لكن يتفقون من جهة تثليث الشام من جهة المرتبة ولكن جعلها الله تعالى مقياس ومعيار ; وهذا يُعلم حتى في بدن الإنسان أن ثمة حاسة لدى الإنسان إذا اضطربت اضطرت بقية الأعضاء ولا يعنى أنها لها تأثير أفضل ولكن هي أمارة وعلامة على صحته وعدم صحته ، فجعل الله تعالى هذه البقعة معيار لأمر الأمة من جهة استقامة أمرها وليس المراد بذلك من جهة الأفراد ، فإن الأفراد إنما تزكيهم أعمالهم فالأعمال هي التى تزكي الإنسان وليس البلدان ، فإذا صلح الإنسان وكان في أى أرض فإنه يحشر على عمله الذى هو عليه ، فالكافر الضال مهما كان في أرض ولو كان في جوف الكعبة فإنه كافر بالله تعالى والصالح وإن كان في أقصى الأرض فإن الله تعالى يجعل أمره فيما أنزل عليه وامتثاله لله تعالى فهو صالح ولو كان نائيا ; إذاً البلدان فضلها في ذاتها لا يتعدى إلى أفرادها وما يتعلق بالأفراد فإنهم هم الذين يفضلون تلك البلدان ولهذا فضل الله تعالى المسجد الحرام لأن الخليل إبراهيم قد عمره وأنشأه بأمر الله فأصبح فاضلا بهذا العمل الذى امتثل إبراهيم الخليل وإسماعيل حينما وضع قواعد البيت بأمره والله تعالى يفضّل من أرضه ما يشاء .

[٧]) سبق تخريجه : انظر (5) .

الفتنة والشام

أخبر النبي ﷺ أن الفتن تتكاثر في آخر الزمان كما جاء في حديث أبي هريرة في الصحيحين وغيره أنه قال ﷺ (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ) [٨] إشارة إلى أن الفتن تكثر في آخر الزمان وهي مرتبطة بقلة العلم فإذا قل العلم ظهرالجهل وظهرت الفتن فكلما كانت للعلماء مكانة وظهر أمرهم من جهة توجيه الناس وإرشادهم فإن الفتن تضمحل وتضعف لأنهم يبصرون الناس بما بصرهم الله تعالى به من وحيه في كتابه وسنته.

والله تعالى حينما أخبر بكثرة الفتن على لسان نبيه ﷺ في آخر الزمان جعل الأمر عاماً والأصل في أشراط الساعة إذا جاءت في آخر الزمان المراد بها بلدان المسلمين وخاصة جزيرة العرب وما حولها .

وبالنسبة للشام هي بلدة من بلدان المسلمين فإذا طرأت الفتن على جزيرة العرب وما فيها فإنه يطرأ كذلك على الشام من باب أولى .

وقد جاء عن النبيﷺ جملة من المواضع التي تدل على ورود الفتن وكثرتهاوأكثر المواضع التي جاءت الشريعة بظهور الفتن فيها هي ما يتعلق بنجد كما جاء في الصحيحين وغيرهما (عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ بِيَدِهِ يَؤُمُّ الْعِرَاقَ :هَا ، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ، هَا ، إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ) [٩] واختلف في المراد بنجد هل هي نجد اليمامة أم العراق وهما قولان للعلماء وأكثر الأدلة من جهة الزلازل والفتن وصدّقها الواقع هو ما يتعلق بالعراق وهذا ظاهر لمن نظر وسبر التاريخ منذ تكوين دولة العراق إلى يومنا المتأخر في كثرة الفتن والابتلاءات والمحن التي مرت بها .

٨) رواه البخاري : كتاب الاستسقاء باب ما قيل في الزلزال والآيات(605/2) رقم (1036).
٩) رواه مسلم في صحيحه (181/8).

والشام هي من أقل البلدان ذكراً للفتن في السنة ، وإنما تذكر بالبركة وكذلك اليمن واليسار والخير والفضل وجاء في تفضيلها جملة من النصوص ، فذكر الفتن في الشام قليلٌ ونادر جداً ولا يكاد أن يذكر ، وقد جاء في ذلك مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (بَيْنَا أَنَا فِي مَنَامِي، أَتَتْنِي الْمَلَائِكَةُ فَحَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَعَمَدَتْ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا فَالْإِيمَانُ حَيْثُ تَقَعُ الْفِتَنُ بِالشَّامِ) [10] وقد جاء عن النبي ﷺ هذا في جملة من الروايات وجملة أيضاً من الألفاظ المراد بذلك أن النبي ﷺ أراد أن يبين أن الحق يجعله الله تعالى فيما شاء من الأرض وأن الله سيجعل حقا في الشام ، وهذا إشارة إلى الفتوحات التى تكون بعد ذلك وإشارة إلى أن ما يقع في فتنة في بلدٍ من بلدان المسلمين أن هذا أمارة على وجود خير يعقب ذلك ، فكل فتنة تقع في الشام فإنه يعقبها خيراً واستقامة لأمر الإسلام ، وهذا يصدقه ما جاء في حديث (إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلا خَيْرَ فِيكُمْ) [11] فإذا وقعت فتنة فيها فيكون نوع من الاختبار إشارة إلى صلاح الشام ، وعلى هذا تصلح الأمة بعد ذلك ، وإذا جاءت الفتنة بعد صلاح أمرٍ فإنه نوع من الفساد الذى يطرأ عليها والذى تختل به مواضع الأمة الأخرى .

ولهذا فإن مواضع الفأل في الشام ، وأما ما يحدث فيها من فتن وابتلاءات وامتحانات فهو أمارة إلى صلاحها لأن هذه الفتنة كان سابقها الضلال والبعد عن الله تعالى وسطوة النظام الذى كان عليهم قبل ذلك ، فجاءهم الله بشيء من هذا التيسير والمغالبة والمدافعة لذلك الشر فيعقبه بإذن الله خير لأنه لن يكون بعد ذلك شر أشد مما كانوا عليه من البعد عن الله تعالى ، فقد ظهرت الكفريات من سب الله تعالى والبعد عن الله وظهرت شعارات الإلحاد من البعثية وكذلك الشيوعية وغير ذلك فهذا هو أقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من أمر الكفر بالله تعالى فإذاً إن شاء الله تعالى يعقبه إلى خير واستقرار لأمر الأمة وتمكينها .

---

١٠) رواه أحمد في «مسنده» (310/29) ورواه الطبراني في «مسند الشاميين» (288/2) عن موسى بن عيسى بن المنذر الحمصي، عن محمد بن المبارك الصوري، عن إسماعيل بن عياش، به.

١١) سبق تخريجه : انظر (5) .

الجمع بين فضل الشام والفتن الواقعة بها

حينما ذكر النبي ﷺ الفتن في مواضع كثيرة ذكرها على صيغ وعبارات منها ذكر الفتن على سبيل العموم أنها تحل في الأمة في آخر الزمان كما جاء في حديث أبي هريرة وغيره قال (لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ) [١٢] هذا على سبيل العموم فلم يخصص ﷺ بلدة دون بلدة ولا يعنى أنه لا يوجد موضع في بلد من بلدان المسلمين إلا ويدخله ذلك ، فمن البلدان ما لا يقع فيها زلازل ولا فتن وغير ذلك فيقع في بلدان المسلمين ولكن لا يلزم شمول الأراضي عموماً واستيعاباً .

وكما جاءت نصوص عامة ثمة نصوص أخرى جاءت خاصة في بلدٍ من البلدان : أنه يقع فيها شيء من الفتن والاضطراب فحينما قال النبي ﷺ (ستجندون أجنادا) [١٣] ذكر هذه الأجناد إشارة إلى وجود شيء من الفتن وكذلك الشقاق الذى سيكون في بلدان المسلمين ، فأرشد ﷺ إلى شيء مما تصلح به حال الأمة .

وقد جاء في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ النصوص الكثيرة في فضل الشام وهذا الفضل لا يمنع نزول الفتن بها والابتلاء ; فمحمد ﷺ خير خلق الله تعالى وأفضلهم كفاه الله تعالى ووقاه وبصره وهداه وأرشده وعصمه كما في قوله تعالى ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ (الزمر : 36) وكما في قوله ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ (التوبة : 40) وفي قوله ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾(المائدة : 67) ومع ذلك جاء للنبي ﷺ جملة من الابتلاءات والامتحانات التى لحقته ﷺ مع أن الله تعالى كفاه ونصره ووقاه ومكنه وعصمه;فالابتلاء العارض لا يلغي الحماية العامة والوقاية العامة .

١٢) سبق تخريجه : انظر (8) .
١٣) سبق تخريجه : انظر (6) .

ولهذا النبي ﷺ لما ذكر أرض الشام باليمن والخير الذى يكون لأهلها فإن المراد بذلك هو الأمر الغالب وليس المراد به السلامة الدائمة ، ولهذا الفتن التى حدثت في الشام وتحدث في زماننا وما كان قبل ذلك من جثمان الظلم ومن نظر إلى القرون الماضية وجد أن أهل الشام في حال استقرار، وما بلد من بلدان الله قد جعل الله لها العصمة الدائمة بلا استثناء إلى قيام الساعة ، بل أن المسجد الحرام وهو من أفضل بقاع الأرض كما بين الله تعالى ذلك في كتابه العظيم وجاء عن النبي ﷺ في نصوص كثيرة سيهدم في آخر الزمان كما جاء في صحيح البخاري والمسند وغيره أن الكعبة يهدمها " ذو السويقتين من الحبشة " كما جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ)[١٤] وكذلك ما جاء في الفتن التى حدثت في مكة في القرامطة حينما أخذوا الحجر الأسود وأخذوه من موضعه ثم أعيد بعد ذلك ، كذلك أيضاً ما حدث في المدينة وقد حماها الله تعالى من كثير من البلاء والفتن بدعوة النبي ﷺ ومع ذلك حدث فيها شيء من الفتن والابتلاء كما في الحرة، ولكن ننظر إلى الأمر العام السائد والغالب نقول الغالب في ذلك هو الأمان الذى يجعله الله تعالى لها .

لهذا الفتنة التى وقعت في الشام اليوم هي عارضة بالنسبة لتاريخها فنصوص الشريعة يراد بها العموم والأغلب ولهذا فإن الشام مقبلة على خيرٍ ويمنٍ ونصرة وتمكين بإذن الله تعالى .

١٤) رواه البخاري (1591 ، 1596) ، ومسلم (2909) .

الموقف الشرعي من الفتنة الباطنية

المراد بالباطنية هم الذين يضمرون شيء من العقيدة ويظهرون خلافاً أخر فيضمرون نفاقا ويظهرون وفاقا .

وطوائف الباطنية متعددة من جهة المذاهب وهم على أنواع متعددة منهم الجعفرية ومنهم النصيرية وهؤلاء لهم عقائد متنوعة أشد هذه الطوائف تطرفاً وبعداً عن الحق هي الطائفة النصيرية أتباع محمد بن نصير الذين أخذوا يؤولون النصوص ويجعلون لها ظاهراً وباطناً فهؤلاء لا يصلون ولا يزكون ولا يصومون ولا يحجون ويؤولون هذا التأويل بمعاني معينة فيجعلون الصلاة هي الصلة بين الإنسان وبين ربه من جهة المعنى ولا يجعلونها في العبادة التى يتعبد بها الناس إلا من جهة تقية يعنى أنهم يتصنعون بالعبادة حتى لا يتهمهم الناس .

وكثير من عامة النصيرية لا يدركون أمثال هذه المعاني وإنما هي عند خاصتهم الذين يصنفون في ذلك ولا يبينون للعوام ذلك ، فأصبح كثير من عوام النصيرية لا يدركون هذه الحقيقة ، وإنما يروجون لهم أن هؤلاء أعداء لأهل البيت وأعداء آل محمد ﷺ يروجون هذه المعاني ولكن لا يبينون كثير من هذه المخاطر .

والباطنية فئة خطيرة جداً من جهة عقيدتها وبعدها عن الله تعالى وكذلك من جهة تفسيرها للعقائد فهي ضالة تبدع الصحابة وتكفرهم ولا تستثني منهم إلا شيئا يسيرًا من أصحاب رسول الله ﷺ وذلك كعلي بن أبي طالب وسلمان الفارسي ومقداد الأسود عليهم رضوان الله تعالى وغيرهم من الشيء اليسير كالحسن والحسين عليهم رضوان الله فهؤلاء يستثنوهم استثناء ويكفرون ما عداهم ، ويجعلون من جهة عقيدتهم شيء من التثليث فلديهم شيء من الانحرافات في هذا الباب .

والشريعة جاءت بالإيمان وجعلت الإيمان باطن وهو النية بالقلب وجاءت بالعمل الظاهر وهو قول اللسان وعمل الجوارح ، الطوائف الباطنية تقول بأن الإنسان يضمر شيئاً يخالف الذئ يظهره ، يعنئ يكون نوعٌ من الاضطراب ولهذا دائمًا الذئ لا يعمل بما يعتقده يصيبه شيء من الاضطراب وكذلك عدم إصابة الحق والحيرة فيقول شيء ثم ينفيه وهذا يظهر كثيراً من المتناقضات .

والشريعة جاءت بمحاربة النفاق ومواجهته فلابد أن يظهر منك الذئ تريده ولهذا كان المنافق في الدرك الأسفل من النار وهو أشد عداء لأمة الإسلام من الكافر لأن الكافر يكفر بباطنه ويظهر كفره فعداوته بيّنة .

جاءت الشريعة بأهمية موافقة الباطن للظاهر حتئ يتضح أمر الإنسان كذلك جاءت الشريعة ببيان أمر الإسلام والإيمان حتئ يسلم دين الإسلام في ذاته من جهة العمل فلا يضطرب ولهذا فطر الله تعالئ الإنسان علئ الاستقرار النفسي أن يعمل بما يعتقد لا أن يعمل بشيء لا يعتقده لأن هذا يعطئ نوع من الازدواجية والاضطراب فيعمل شيء من الخفية ويضطرب في حال حضور الناس ونحو ذلك ، فأمرت الشريعة أن يكون الإنسان متقي لله في سره وعلانيته فيتعبد لله أمراً واحدًا .

ولهذا جاء فِي حَدِيثِ جِبْرِيلَ كما في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة (قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ قَالَ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) [١٥] يعنئ لابد أن تكون علئ مستوئ واحد من جهة العمل سواء كنت منفردًا أو كنت علانيةً فلا يوجد تقية في مثل هذا لأن الله يراك فأنت تتعبد لله لا تتعبد للبشر .

والطوائف الباطنية تأصل لديهم أنهم يعتقدون شيء ويعملون بغيره ويؤجلون العمل التام الظاهر فيفعلونه في حال الخفاء أو فيما بينهم لا يفعلونه علانية وينتظرون المهدي المنتظر ويجاهرون في ذلك بكل عقيدتهم فلديهم هذا الأمر، الآن الإنسان إذا كان لديه عقيدة لا يعمل بها وسبب عدم عمله الظاهر بذلك هي طوائف مثل أهل السنة كما يعتقدون في ذلك .

١٥) أخرجه البخاري في تفسير القرآن، باب: قوله: {إن الله عنده علم الساعة} (4777)، ومسلم في الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان (9).

فيصيبهم شيء من الحنق والحقد على تلك الطائفة والجماعة فإذا تمكن منها فإنه سينتقم شر انتقام.

والباطنية يغذون أتباعهم بشيء من الباطل ثم يمنعونهم من إخراجه فإذا تمكنوا من أحد سفكوا الدماء وقتلوا النساء والأطفال وذلك لعدم توازنهم من جهة الاعتقاد ، ذلك أنهم يضمرون شيء لا يعملون به فإذا تمكنوا فإنهم يظلمون لأنهم يلحقون عدوهم سبب عدم العمل بهذه العقيدة وكأن لسان حالهم (أننا نكتم هذه العقيدة لعشرات السنين ثم لم نستطع أن نعمل بها وأنتم السبب)! .

بينما أهل السنة لا يطيقون قتل الأطفال ولا يطيقون قتل النساء ممن لم تقاتل معهم في صفوفهم ولا يقتلون الشيوخ الكبار الذين لا يقاتلون ولا يقتلون الرهبان والأحبار الذين يتعبدون ولا يقاتلون ، وهذا نوع من الأمر الفطري الموجود لدى الإنسان ، والشريعة جاءت بموازنة الظاهر مع الباطن فتعمل في ظاهرك بما تعتقده في باطنك لا تخفي شيء ، فإنك إذا تمكنت من عدوك إنما تنتصر عليه لله لا تنتصر عليه تشفياً في ذاتك.

ولهذا فإن الطوائف الباطنية تغذى الناس بالعاطفة الدينية ثم تأمرهم بكتمها ثم لا يعملون بها وهي التقية فإذا تمكنوا من عدوهم أفرغوا تلك العاطفة التى تكون في نفوسهم ولهم مواسم شحن كلها تدور حول الشحن العاطفي مثل يوم عاشوراء أو يوم الغدير أو غيرها من المواسم التى يشحنون بها العامة عاطفياً لا عقيدةً دينية .

والله تعالى يسلط الظالم على أقوام ويسلط الظالم على ظالم ويسلط شعب ظالم على حاكم عادل وهذا نوع من الابتلاء الذى يجعله الله في أرضه .

والأصل في تسليط الله الظالم على شعب دليل على بعد الشعب عن الله ;فالله يبتلي العباد بشيء من أنواع البلاء بشيء من العقوبة حتى يعودوا لدين الله تعالى .

بعض الناس يتدرج في شيء من إقرار الظلم فإذا نزلت عليهم عقوبة شديدة قالوا أنى أتتنا هذه العقوبة الشديدة ونحن لم نفعل شيئا ، فقد رأوا الحاكم يتدرج في الظلم ومن رحمة الشعوب بالحاكم

ورحمة الشعوب بالأنظمة أن يدفعوا ذلك الظلم حتى لا يتضخم ويعظم فإن الظلم إذا تجذر انتزاعه يكون شديد .

فإذا أنزل الله عقوبة على بلد أو اختبار ولم يكن في البلد مصلحون فإن العقوبة في البلد تكون شديدة وإذا أوجد الله في الأمة مصلحين فإنهم يدفعون عجلة التمكن فيكون الظلم في ذلك كحال الوتد الذى يضرب في الأرض ولكنه لا ينغمس إلى رأسه فإذا نزع ينزع يسيرا ولا يؤثر في الأرض ولكن إذا تجذر تجذراً شديدا وأراد الإنسان أن ينزعه لا ينزعه إلا تصدعا في الأرض كلها وهذا شبيه بالظلم وهذا كثير في الدول التى لا يوجد فيها مصلحون أو وجد فيها مصلحون متفانون لكنهم لا يقومون بالواجب لقلة عددهم وعدم انتصار الناس لهم ولهذا المصلحون الذين يصلحون ويدفعون الشر لا يريدون للظلم أن يتمكن من البلد لأن الله له عقوبة بانتزاع الظلم من الأرض فإذا جعل الله للظلم أمد لخمسين أو ستين أو مائة عام فإذا أراد أن ينزعه لا ينزعه إلا بعقوبة عامة لشدة تجذره في الأرض.

لهذا يجب على الشعوب أن تصلح ويجب على العلماء أن يصلحوا رحمة بالحكام بالسلاطين بالأمة رحمة لأجيال لأن عقوبة الله تعالى ربما لا تأتي بالجيل الأول تأتي فيما بعد ذلك ، ولهذا يجعل الله تعالى الناس يتدرجون في الظلم فإذا قاوموه فإن الله يرفعه بيسر ولا يكون في ذلك فتن ، ولهذا ننظر للبلدان التى حدثت فيها فتن بلدان منها حدثت فيها عقوبات شديدة وقتل وهلكى والسبب أنهم قصروا من جهة الإصلاح والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دفعا لذلك الظلم فلم يرحم الله تعالى ذلك بمقدار تقصيرهم ومن الناس من رحمه الله لوجود الإصلاح فيهم وبيان الحق ولو وجد الظلم فإن الله تعالى له سنة في المؤاخذة وله سنة في المدافعة.

نصرة الشام

مهما تكلمنا الحقيقة عن قضية النُصرة وقضية الشام فإن تكرار مثل هذا الكلام لا يعطيه حقه وذلك لعظم البلية وعظم الفتنة وعظم الامتحان والاختبار الذى لحق بأهل الشام فقد لحق بهم أنواع الابتلاء الذى ذكره الله تعالى في كتابه العظيم ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة : 155) كل أنواع هذا البلاء قد لحق بالشام فابتلاهم الله تعالى بأعراضهم وأنفسهم ودمائهم وأموالهم وأرضهم ودينهم قبل ذلك.

ولعل الله سبحانه أراد بهم تطهيرا وكذلك امتحاناً وربما لبعضهم اصطفاءً وتقريباً وهذا من فضل الله تعالى على بعض عباده يخص به بعض العباد .

فقد أنزل الله تعالى بهم بلاء وقد امتد هذا البلاء ليتجاوز السنتين ومازال الأمر مستمر ، فيجب على المسلمين في مثل هذا البلاء النصرة فالنصرة واجبة ولو كان البلاء يسير ، ونصرة المظلوم واجبة على من يقدر عليها ولو كان الظلم شيئا يسيرا ، يقول الله تعالى ﴿ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ (الأنفال : 72) فأمر الله تعالى بنصرتهم.

وقد جاء عن النبي ﷺ الحث على نصرة المسلمين في مواضع عديدة من النصوص منها :

قوله ﷺ كما جاء في حديث أنس بن مالك في الصحيح وغيره (انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا "قِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ نَصَرْتُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ" تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ ")[16]

وقوله ﷺ (تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[17] .

وقوله ﷺ (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)[18] .

---

١٦) رواه البخاري (2 / 98) والترمذي (2 / 41 - 42) وأحمد (3 / 201) واللفظ له ، وقال البخاري : " تأخذ فوق يديه " . وقال الترمذي : " تكفه عن الظلم ، فذاك نصرك إياه ".

١٧) رواه البخاري كتاب الأدب 93/4 ح(6011) ، ومسلم كتاب البر والصلة 1999/4 ح(2586) وهذا لفظ مسلم.

١٨) رواه البخاري :كتاب المظالم، باب نصر المظلوم ح(2314)، ومسلم : كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم: ح(6585)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وجاء عند الإمام أحمد من حديث أبي حسان عن علي بن أبي طالب أن النبي ﷺ قال (الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)[١٩] فجعلهم يد واحدة من جهة الانتصار ودفع العدو فيجب على الأمة أن تنصر المظلوم أياً كان على ظالمه .

ولا يشك عاقل أن دفاع أهل الشام عن عقيدتهم وعن دينهم أنه قتال مشروع واجب ولا يقول بأن ما يكون اليوم في الشام جهاد ليس بمشروع إلا رجل قد فتنه الله تعالى في دينه وعقله وذلك لوضوح هذا الأمر من جهة النقل فضلاً أن يكون ذلك من جهة العقل.

لهذا يجب عليهم أن يثبتوا ويجب على المسلمون أن ينصروهم فكل إنسان استطاع أن ينصر إخوانه بما استطاع فإنه يجب عليه النصرة قدر الوسع والإمكان ، والله تعالى قد بين في مواضع عديدة أن الإنسان إذا لم ينصر أخاه المظلوم فإن الله تعالى يلحق به خذلاناً بمقدار تعطيله لتلك النصرة كما جاء ذلك في المسند والسنن وجاء عند الحاكم : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(مَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ ، وَتُسْتَحَلُّ حُرْمَتُهُ ، إِلا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ خَذَلَ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ ، إِلا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)[٢٠] بمقدار خذلانه إذا كان قادر على النصرة والله تعالى يعذر العاجز ولكنه لا يعذر القادر الذى يستطيع النصرة ثم يفرط بعد ذلك فالعقوبة تأتي بمقدار تقصير الإنسان .

والنصرة متنوعة منها نصرة بالسلاح ونصرة بالمال ونصرة الدعاء وجميع أنواع النصرة تجب على المسلمين فيجب عليهم أن يعينوا إخوانهم قدر وسعهم وإمكانهم بنصرة السلاح بالنفس بالمال أن يقوموا بسدهم ، كذلك ببيان قضيتهم حتى من جهة وسائل الإعلام بيان مظالمهم نشرها للناس إحياء قلوب الموتى التى أغرقتها الدنيا وخذلتها وخدرتها فإنهم إذا استيقظوا فإنهم يقومون بنصرة إخوانهم وإعانتهم وتسديدهم وإيقاظ القلوب الغافلة أو الميتة والمخدرة .

---

١٩) أخرجه أحمد ح(1/ 122) ، وأبو داود ح(4530) ، والبيهقي في "الكبرى" (7/ 134) والنسائي (8/ 19، وفي "الكبرى" ح(8629) .

٢٠) أخرجه البخاري في " التاريخ " (1/ 1/ 1094/347) ، وأبو داود (4884) ، والفسوي في " المعرفة " (1/ 300) ، وابن المبارك في " الزهد " (243/ 296) ، وعنه أبو نعيم في " الحلية " (8/ 189) ، وأحمد (4/ 30) ، وابن أبي الدنيا في " الغيبة " (99/ 06 1) ، و " الصمت " (135/ 241) ، والطبراني في " المعجم الكبير " (5/ 110/ 4735) ، والبيهقي في " السنن " (8/167 - 168) ، والبغوي في " شرح السنة " (3 1/ 8 0 1/ 3532) من طريق الليث بن سعد.

نصرة الشام بالرجال

جهاد أهل الشام هو من الجهاد الواجب الذي أوجبه الله تعالى على أهل الشام فيجب أن يقوموا جميعاً على الدفاع عن دينهم وأعراضهم ودمائهم وأعراضهم قدر وسعهم وإمكانهم.

كما أوجب الله تعالى النصرة على كل قادر ممن حولهم على سبيل التدرج إذا عجِزوا أن يقوموا بأنفسهم فيجب عليهم أن يسدوا وأن يعينوا إخوانهم وهذا الأمر يختلف من زمنٍ إلى زمنٍ ومن ساعةٍ إلى ساعة بحسب حالهم ومن موضع إلى موضع .

وأهل الشام يحتاجون إلى النصرة بجميع أنواعها فيجب على المسلمين أن يقوموا بنصرتهم قدر وسعهم وإمكانهم وأعلم في ذلك يقينًا أنهم يحتاجون إلى السلاح فمن جهة سلاحهم نجد أن رجالهم أكثر من سلاحهم وسلاحهم قليل وإن وجد لديهم السلاح فيوجد لديهم عدداً لكنه لا يوجد نوعاً لأن العدو لديه من السلاح المتقدم الشيء الكثير لأنها دولة تحارب شعب وشعبها أعزل وهذه الدولة متمكنة من جهة طيرانها وأسلحتها الفتاكة والأسلحة التي أسلحة لحرب الدول ليست لحرب الأفراد وليست لحرب الشعوب وأخذت تسلط تلك الآلة الموجودة لديها على أولئك العُزل الأفراد الذين ليس لديهم إلا سلاح أفراد لا يمكن أن يحارب به إلا على أرضه فأخذوا يضربون عليهم بالصواريخ والطائرات.

فإذا لم تقم الدول بنصرة المسلمون هناك فإنها لا شك خاذله فهم بحاجة إلى سلاح نوعي يعينهم على عدوهم بما بطش بهم في دينهم وعرضهم وأنفسهم فيجب عليهم أن يقوموا بهذا الأمر قدر الوسع والإمكان .

لهذا أوجب شيء من جهة النصرة فيما يتعلق بالشام هي نصرة السلاح قدر الوسع والإمكان ، فمن استطاع من الدول وجب عليه عيناً وأن تقصيره في عدم إمداد المسلمين بالسلاح خذلانٌ سيجازيهم الله تعالى بمقدار خذلانهم وقدرتهم على عون إخوانهم .

يليها نصرة المال وخاصة رجال الأعمال فإنه يجب عليهم أن ينفقوا أموالهم وخاصة في هذا الزمن فيجب عليهم أن ينصروا إخوانهم في الشام ،فأهل الشام اجتمع فيهم أصناف الزكاة الثمانية التى ذكرها الله تعالى في كتابه العظيم اجتمع فيهم : الفقر والمسكنة وكذلك الغرم واجتمع فيهم تأليف القلب لبعدهم السابق عن دين الله وكانوا من أهل الرقاب وكذلك العاملين عليها وابن السبيل وفي سبيل الله كلها قد اجتمعت فيهم ،فهم مجاهدون مشردون مساكين فقراء فاجتمع فيهم العواز المتعدد فهؤلاء هم أعظم أجراً ;فإذا اجتمعت الأصناف في فردٍ واحد فهو أعظم من غيره فيجب عليهم أن يقوموا بنصرتهم ، كذلك يكفي في ذلك أنهم مظلومون فيجتمع في ذلك أجر رفع الظلم فيجب عليهم أن ينفقوا على إخوانهم قدر الوسع والإمكان وأن ينصروهم بالمدد بالسلاح قدر الوسع والإمكان .

كذلك يجب على المجاهدين في سبيل الله تعالى في الشام أن يبينوا حاجتهم وأن يظهروا أمرهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا : من جهة حاجتهم يقيناً ما احتاجوا إلى ذلك منهم من يحتاج إلى رجال يُبين هذا الأمر ومنهم من يحتاج المال يُبين هذا الأمر ومنهم من يحتاج السلاح يُبين هذا الأمر حتى تقوم الحجة ويقوم في ذلك إعذار عند الله تعالى فمن كان قادراً فإنه يقوم بقدرته .

وأوجب ما يكون على المسلمين الآن هو إمدادهم بالسلاح لأن رجالهم أكثر من سلاحهم ورجالهم عزل ويحتاجون إلى سلاح وهذه القرى التى تحدث فيه إبادات متكررة كبلدة بانياس والقصير وغيرها والبيضا التى وقعت فيها شيء من المجازر إنما نفذت ذخيرتهم ثم تسلط عليهم العدو فقام بقتل الأطفال والنساء فلديهم رجال ولكن يريدون السلاح .

ولكن الذى لم يمد إخوانه بالسلاح فإنه لن يمدهم بالرجال والذى لم يمدهم بالمال لن يمدهم بالرجال ولهذا العجز سابق ومتقدم .

ولهذا يجب علينا أن نتدرج في النصرة قدر وسعنا وإمكانا من استطاع أن ينصر إخوانه هناك فيجب عليه أن ينصرهم بأى نوع من أنواع النصرة فإن الله تعالى قد أوجبها علينا .

فيجب علينا أن نعذر إلى الله تعالى بهذه النصرة وأن نتقي خشية عقاب الله تعالى وخذلانه لنا في حال ابتلائه لنا فيما نستقبل من أمرنا فإن الله ينزل العقوبات والبلاء في أي أرض فلا عصمة لأحد ولا عصمة لبلد ولا عصمة لعرق فالله تعالى ينزل بلاءه وفتنته فيما شاء من أرضه سبحانه .

أحداث الشام بين الفتنة والجهاد

ما يحدث في الشام هو جهاد ولا يجوز أن يطلق عليه فتنة محضة هكذا أو حرب مجردة ، نعم هو حرب من جهة الاصطلاح اللغوي ولكن هوجهاد في سبيل الله تعالى والذين يدافعون عن أنفسهم هم مجاهدون يقومون بأمر الله ينتصرون لدينه ينتصرون لأعراضهم لدمائهم وأقل أحوالهم في ذلك لو دافع الإنسان عن ماله وعرضه وحمى عرضه ولو لم يكن في ذلك من مقصده أن يُعلي كلمة الله تعالى فإنه يكون من جهاد الدفع ، كما جاء عن النبي ﷺ من حديث سعيد بن زيد كما في السنن قال (مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)[٢١] فجعل النبي ﷺ لهم الشهادة.

وقد جاء (عَنْ قَابُوسَ بْنِ مُخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : الرَّجُلُ يَأْتِينِي فَيُرِيدُ مَالِي ، قَالَ : ذَكِّرْهُ بِاللهِ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَذَّكَّرْ ؟ قَالَ : فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَوْلِي أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِالسُّلْطَانِ ، قَالَ : فَإِنْ نَأَى السُّلْطَانُ عَنِّي ؟قَالَ:قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ حَتَّى تَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ)[٢٢] يعني أن الإنسان حتى لو دافع عن ماله فإن الله تعالى يجعله شهيداً بأن قتل فكيف فيمن يقتل لإعلاء كلمة الله تعالى لاشك أنه في ذلك أعظم عند الله تعالى.

٢١) رواه أبو داود (2 / 275) والنسائي(4095) والترمذي (2 / 316) وصححه، وأحمد (1652) عن سعيد بن زيد.
٢٢) رواه النسائي (4081) .

على من تجب نصرة الشام ؟

جاء في المسند والسنن عند النسائي وغيره من حديث قابوس بن المخارق عن أبيه أن النبي ﷺ قال (فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ)[٢٣] فيجب على أهل الشام أن يستنصروا وأن يقوموا بأنفسهم في الدفاع عن أعراضهم ويجب إن عجزوا على من حولهم على سبيل التدرج بمقدار العجز ولهذا النصرة في ذلك تجب على شيء من بلدان المسلمين على سبيل التدرج كما قال النبي ﷺ في نفس الحديث (اسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ) بحسب قرب البلدان وأثر ذلك بمقدار العجز الموجود هناك .

وأظهر وجوه العجز هو عجز السلاح والمال الذي يجب على المسلمين أن ينتصروا له فيجب على المسلمين أن ينفقوا قدر وسعهم وإمكانهم فما قتلت النساء وقتل الأطفال واستباحت الحرمات والأعراض في كثير من البلدان التي نراها إلا بسبب عدم وجود السلاح وعدم وجود المادة والتقصير مشترك منه ما يتعلق بالدول ومنه ما يتعلق بالأفراد والدول تملك من الإمكانيات ما لا يملك الأفراد وكذلك يوجد من الأفراد من لديه من القدرة ولكنه يمسك.

والله تعالى يقول ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة : 195) أمر بالإنفاق وبيّن أن عدم الإنفاق هو من إلقاء النفس إلى التهلكة وقوله تعالى﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾(البقرة : 195) فأمر الله بالإنفاق وعدم الإمساك وإلا ألقى بنفسه إلى التهلكة وتسبب في هلاك إخوانه وهلاك دينه ، لهذا نقول أعلى وأحوج مراتب النصرة هي نصرة السلاح ونصرة المال لأن رجالهم أكثر من سلاحهم وكثير منهم عزل والبلد أكثر من عشرين مليون ويستغيثون من جهة السلاح فلا الدول أمددتهم بالسلاح ولا كذلك الشعوب من أهل المال واليسار أمدوهم بالكفاية ، يصل إليهم ولكن لا يصل إليهم شيء ، نقول يجب أن نتقي الله تعالى في نصرتهم قدر وسعنا وإمكاننا .

---

٢٣) سبق تخريجه : انظر (22) .

تجهيز الغزاة بالشام

يقول النبي ﷺ (مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا) [٢٤]

وتجهيز الغزاة هناك يكون بالإنفاق عليهم والإنفاق عليهم براءة للذمة .

فالإنسان إذا أراد دراسة طب أو هندسة أو سياحة جاب الأرض كلها وأخذ يفتش في مواضع الأرض والانترنت أين الفنادق والدراسة ونحو ذلك فما هو الأمر إذا ذهب الإنسان هناك ومد إخوانه بماله بنفسه ليس هذا مستحيلا كما يذهب للسياحة وتذهب أسرة كاملة للسياحة ! يستطيع الإنسان أن يمدهم بماله بنفسه ويسد حاجات الناس.

والأزمة السورية عظيمة ومتشعبة منها ما يتعلق باللاجئين والجرحي والهلكى فمنهم من هو مبتور اليد مبتور القدم مقطع الأوصال يحتاجون إلى الإغاثة والمدد والعون.

وقد اجتمع فيهم البلاء والامتحان المتنوع ومن عذر في مسألة عدم معرفة طريق المدد بالسلاح والمال في الداخل فعليه أن يغيث اللاجئين في الخارج قدر وسعه وإمكانه .

وكذلك إحياء واجب المسلمين من جهة الدعاء والقنوت يجب عليهم أن يدعوا لإخوانهم وأخص في ذلك ما أوجبه الله على المسلمين من الدعوة الخاصة والدعوة العامة.

الدعوة الخاصة أن يدعو الإنسان لإخوانه لإثبات هذه اللحمة في سجوده في قيام الليل في قنوته في خلواته وفي علانيته من جهة القنوت في صلواته الخمس فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قنت في الصلوات الخمس وفي رواية قنت في صلاة الظهر ويجب على المسلمين على سبيل الخصوص القنوت في صلاة الفجر والدعاء بالنصرة والتأييد فإن الله تعالى لا يرد من دعاه لكن يلح المسلم قدر وسعه وإمكانه .

والله تعالى يعلم حال الإنسان وما هو مقدار قدرته سواء كان رجل أو امرأة ، وما هو مقدار عجزه الذي يمكن أن يصل إليه ، والناس تتباين فمنهم من هو قادر في باب وعاجز في باب ومنهم من هو عاجز في كل الأبواب ، فالله تعالى يعلم عباده ولا يكلف نفساً إلا وسعها .

٢٤) رواه البخاري (2843) واللفظ له ، ومسلم (1895) .

وصايا لأهل الشام

أمر الله تعالى بالاجتماع يقول ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾(آل عمران : 103) ويقول تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الأنفال : 46) يعنى أنهم يضعفون في حال عدم الاجتماع فأمر الله بالاجتماع حتى لا يضعفوا أمام عدوهم فكلما كانوا تحت راية واحدة فإن الله يجعل لهم هيبة وقد جاء في المسند والسنن من حديث أبي الدرداء أنه قال (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : مَا مِنْ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي قَرْيَةٍ ، وَلَا بَدْوٍ ، فَلَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ)[٢٥] يعنى كلما انفرد الناس وتوزعوا واختلفوا فإنه يسهل على عدوهم أن يقوم بالمكر بهم والكيد بهم فعليهم أن يجتمعوا حتى يظهروا من ذلك قوة وتمكين فإن الله جعل يده مع الجماعة من جهة تأييده وتسديده وتمكينه فإنهم أقرب إلى الشورى والتلاحم وكذلك التواد والتراحم فإنهم يتآلفون ويذوب ما بينهم من غل وحسد أو ربما ما يجبل عليه الناس من الأثرة وحب السيادة .

لهذا أوصي أهل الشام بالاجتماع والائتلاف قدر وسعهم تحت لواء وراية واحدة حتى يمكن الله لهم في الأرض والله تعالى لا يخلف وعده سبحانه .

والله تعالى نهى عن اليأس فاليأس لا شك أنه من الآثام واليأس الفطري لا بأس به لكن لا يجوز للإنسان أن يعمل به فإن اليأس يدفع الإنسان عن العمل ، وامتداد البلاء ربما يحدث للأنبياء فعلى الإنسان أن يعلم أنه ليس بأزكى ولا بأشرف من الأنبياء فقد ابتلى الله تعالى يوسف فسجن بضع سنين كما ابتلي الله أيوب لأكثر من عقدٍ بلاء متعدد ، وابتلى الله تعالى نبيه ﷺ كما جاء عند أبي إسحاق فسجن في شعب مكة لأكثر من ثلاث سنوات والله يجعل أمد للبلاء من جهة زمن انصرامه كما يجعل له أمداً من جهة ابتدائه .

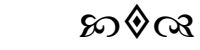

٢٥) رواه أبو داود (547) وأخرجه كذلك ابن المبارك (الزهد)(1306)وأحمد (196/5 و446/6)والنسائى (الكبرى)(920/296/1) و(المجتبى)(106/2) ، وابن خزيمة (1486) ، وابن حبان (2101) ، والحاكم (330/1 و524/2) ، والبيهقى (الكبرى)(54/3).

كلمات متفرقة حول أحداث الشام ووجوب نصرتهم

1) كلمة حول أحداث سوريا .. في بداية الحلقة 18 (علاقة المسلم بالكافر)[٢٦]

من نظر إلى ما يحدث في الشام إتباعًا في كل يومٍ يرى الدماء تراق من أُناسٍ لا يملكون شيئًا من الوازع البشري الفطري فضلا أن يكون لديهم وازع من الدين وذلك بالتعدي على النساء وبقر بطونهن والتعدي على أعراضهن وقتل الأطفال وقتل من يجدون أيًا كان ما كان ينتسب إلى ديار المسلمين ومثل هذا الحقد عند الطوائف الباطنية لا شك أنه يلفت الانتباه إلى ما تكلم عليه علماء الأمة سالفا في قضايا الباطنية وحقدهم على أهل الإسلام وذلك أنهم ينتسبون للإسلام من جهة اللفظ وأما من جهة الحقيقة ومن جهة الباطن فأن انتمائهم لشيء من الزيف والظلم والجور.

هذه السلسلة المتتابعة من القتل والبشاعة في إزهاق الأنفس والتعدي علي الأموال والأعراض التى لا يمكن أن يصدر من أقوام البشر فضلاً أن يكونوا من أصحاب دين يوجب علينا النظر إلى أمور متعددة منها أن الله أوجب علينا نصرة أهل الإسلام ما وجدت المظلمة فالنبي ﷺ يقول كما جاء في الصحيح من حديث حميد عن أنس بن مالك (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[٢٧] الظالم يؤخذ على يديه وينصر المظلوم بدفع المظلمة التى تقع عليه فجعل النبي ﷺ من حق المسلم على المسلم نصرته وقد جاء ذلك في مواضع عديدة من ذلك ما جاء في الصحيح من حديث نافع وسالم عن عبدالله بن عمر قال (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ)[٢٨] وفي رواية (ولا يخذله)إشارة إلى وجوب نصرة المسلم أيًا كان وفي أي حرب حل فقد جعل الله تعالى الوشائج فيما بينهم وشائج إسلامية والإخوة إسلامية .

---

٢٦) شرعة ومنهاج الحلقة 18 http://www.youtube.com/watch?v=nc85ZAVu6ds

٢٧) سبق تخريجه : انظر (16) .

٢٨) رواه البخاري (862/2 ، رقم 2310) ، ومسلم (1996/4 ، رقم 2580) ، وأحمد (91/2 ، رقم 5646) ، وأبو داود (273/4 ، رقم 4893) ، والترمذي (34/4 ، رقم 1426)

فيجب نصرتهم وإعانتهم قدر الوسع والإمكان بالسلاح والمال فإن هذا من حقوقهم التى يقدر عليها المسلمون وقد جاء ذلك في قوله تعالى﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾(الأنفال :72) أى يجب عليهم أن ينصروا فكيف إذا استنصروا منذ سنوات والظلم ينزل عليهم تباعًا !.

ولكنهم يخذلون ولله تعالى سنة بأن من خذل مسلما خذله الله كما جاء عن النبي من حديث جابر بن عبد الله وغيره .

فقد اكتملت الحجة حتى على الأصم يرى ويتابع ما يكون من دماء وكذلك انتهاك للأعراض وعجبًا من حكام وكذلك من شعوب ما يكون منهم إلا تعاطفا وتألما وشيء من الحزن الذى يطرأ عليهم ثم يزول بعد أيام أو أسابيع !.

يجب على الحكومات أن تقوم بما أوجب الله عليهم من نصرة إخوانهم وألا يكتفوا بالشجب والاستنكار والتعامل بالمدد ولو كان عن طريق السر فهذه عداوة علانية ، ألا يكفي من تلك البشاعة تقطيع أطراف أطفال رضع وكذلك انتهاك أعراض نساء عزل وبقر بطونهن ولم يقاتلن !.

يجب على الدول جميعًا وأخص دول الخليج أن ينصروا إخوانهم بما استطاعوا بالسلاح علانية وأن السكوت والتضييق على الدعم وحصاره وكذلك محاولة الترهيب أو تضييق الداعمين سواء كانوا من الخاصة أو من العامة هذا من الظلم ، ولله تعالى سنة في المظلوم وسنة في الظالم وسنة في الخاذل أن ينزل العقوبة عليه بمقدار خذلانه وقدرته على نصرة المظلوم.

والمسلمون في سوريا لسنوات متعددة ينادون ويناشدون العالم ويدعوهم إلى كف هذه الإبادة واليد الطاغية الباغية إلا أن المدد الذى يصل إليهم لا يصل إلى حد ذلك البلاء من جهة دفعه ، وكذلك لا يناسب قدرة من حولهم من المسلمين فلديهم قدرة بدنية وقدرة مالية وقدرة في السلاح لا تناسب ما وصل إليهم ، ومن يدعي أنه يعين إخواننا في سوريا ، نقول نعم ، لكن هل هذا يناسب ذلك الظلم وذلك الجور ؟ وهل تناسب قدرتك التى آتاك الله عز وجل إياها ؟ لا شك أن هذا لا يناسبه أبدًا وإلا ما استمر هذا البلاء العظيم الذى يكون على المسلمين على مدار الساعة !.

فإذا حل حريق ببلد من البلدان فقام أناس وقالوا إنا ننصرهم ولكن ننصرهم بشيء من أواني الماء ونحو ذلك والأواني لا تطفأ مثل هذه الحرائق العظيمة وإن أدعى من يفعل هذا بل ينبغي أن يستنفر الناس جميعًا بالنفقة والإعانة والتسديد .

وهذه رسالة إلى المسلمين عمومًا سواء كانوا مسئولين أو كانوا علماء أو كانوا خاصة أو كانوا عامة أن ينصروا إخوانهم بما استطاعوا من المال فإن النفرة في ذلك عامة وأن ينصروهم قدر وسعهم وإمكانهم بالسلاح .

ورسالة إلى العلماء أن يتصدروا أمر الناس بدعوتهم إلى الإنفاق ونصرة إخوانهم والتعريف بهذه المظالم فإن هذا يدفع البلاء عن أمة الإسلام وكذلك يسلم المسلم في حال خذلانه لإخوانه ، كما يجب على المسئولين في بلدان المسلمين أن يتقوا الله تعالى في التضييق على عمل الإنفاق فإن الإنفاق من مصارف الزكاة الثمانية التى أمر الله تعالى كما في قوله﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة : 60) يتفق العلماء على أنه أول من يدخل في قوله ﴿وفي سبيل الله ﴾ هو الجهاد في سبيل الله وهؤلاء المجاهدون يدفعون عن الضروريات الخمس جميعا يدفعون عن ضرورة حفظ الدين وحفظ العقل وحفظ النفس وحفظ المال وحفظ العرض فوجب علينا حينئذٍ أن ننصرهم قدر وسعنا وإمكاننا وإلا فلله عز وجل سنة في أن يلحق العقاب على الخاذل بمقدار خذلانه وقدرته على ذلك ، وسنة الله ماضية لابد أن تكون آتية فعلى الإنسان أن يدفع بلاء الله بالتماس رضاه .

ورسالة إلى أهل الشام أن يتقوا الله تعالى في أنفسهم فليتخففوا قدر وسعهم وإمكانهم من الذنوب وأن يبتعدوا عما يغضب الله تعالى فقد انتشر في بلدان الشام عمومًا شيءٌ من المعاصي وضرب من ضروب الكفر بل أشد أنواع الكفر وهو التعدي على الله سبحانه بالسب والشتم بلعن الدين ولعن الرب وهذا ينتشر في الشام وفي فلسطين وفي الأردن وفي ليبيا ولبنان وكذلك العراق وهذا أشد من

الوثنية وأشد من استباحة الزنا وكذلك شرب الخمر فيجب عليهم محاربة أمثال هذا الكفر فربما كان سبب في عقوبة الله تعالى وإنزاله عليهم فإن الله تعالى ينتصر لنفسه وينتصر لدينه وانتصاره وانتقامه وبأسه شديد يمهل ولا يهمل يأتي عباده بغتة فعلى الإنسان أن يتوقى فيتخفف من تلك الذنوب التى تُثقل كواهل الأفراد والجماعات والعقوبة حينئذٍ تعم جميعا لهذا يقول الله تعالى﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾(الأنفال : 25) فالبلاء العظيم والفتن والعقوبة تكون على الأمم والشعوب جميعاً لا تكون على أفراد .

2) كلمة حول أحداث القصير .. في بداية الحلقة 21 (الردة) [٢٩]

ما حلَّ بالمسلمين في القصير على سبيل الخصوص وفي سوريا على سبيل العموم بجميع مدنها وقراها من ابتلاء وتمحيص وشدة وكرب وانتهاك لجميع حرماتهم وأعراضهم وأموالهم وأنفسهم وغير ذلك مما أمر الله تعالى بحفظه وصيانته ، لاشك أن هذا الأمر المشاهد في هذه الأيام في القصير مما يستبشع عقلًا وديناً وينبغي فيه التنبيه على أمورمهمة:

أولًا: وجوب النصرة ، فالنصرة واجبة على كل مستطيع قادر أن يدفع عن إخوانه بما أمكنه الله تعالى وما وضع فيه من قدرة بدنية أو مادية وعسكرية .

وهذا الأمر يتوجه إلى الدول ويتوجه إلى الشعوب وإلى الأفراد أدناهم فأدناهم يكون عليه الوجوب لحديث قَابُوسَ بْنِ مُخَارِقٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ (فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَنْ حَوْلَكَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَوْلِي أَحَدٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ ؟ قَالَ : فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِالسُّلْطَانِ ، قَالَ : فَإِنْ نَأَى السُّلْطَانُ عَنِّي ؟ قَالَ : قَاتِلْ دُونَ مَالِكَ حَتَّى تَكُونَ مِنْ شُهَدَاءِ الْآخِرَةِ أَوْ تَمْنَعَ مَالَكَ) [٣٠] فكلما قرب الناصر من مظلوم وجب عليه النصر ويقع الإثم عليه في حال خذلانه.

لهذا أوجه الخطاب إلى المسلمين عمومًا القادرين يجب عليهم نصرة إخوانهم ويجب على العلماء أن يدركوا الرسالة التي عليهم ، وأن يبينوا الحق الذي أعطاهم الله إياه فقد أخذ الله عليهم ميثاقًا غليظا فوجب عليهم أن يبلغوا أعظم الواجبات وأعلاها وهي الإقرار بالتوحيد ونبذ الشرك وكذلك نصرة المظلوم ودفع الظالم .

والقصير يظهر فيها جليًا من المظلوم ومن الظالم ، فيجب استنفار المسلمين بالنصرة كلٌّ قدر وسعه وإمكانه .

---

٢٩) شرعة ومنهاج الحلقة 21 http://www.youtube.com/watch?v=Rjngyb5NuuA

٣٠) سبق تخريجه : انظر (22) .

وإن كانت الأزمة هناك هي أزمة سلاح والسلاح لا يملكه إلا الدول ولهذا فإن هذا الخذلان خذلان دولي سواء كان من الشرق أو من الغرب وإن جاء الخذلان من الغرب فلا غرابة ولكن البلية والرزية الكبرىٰ أن يأتي الخذلان من الشرق وممن ينتسبون للإسلام !.

والحمل علىٰ الأمة عظيم فيجب عليها نصرة المظلوم ودفع الظالم ويجب علىٰ الدول عينًا تسليح المقاتلين ويجب علىٰ عموم المسلمين النصرة .

ثانيا : رسالة لأهل القصير عليهم بالصبر والثبات فهم شهداء إن اختارهم الله تعالىٰ فهم موعودون بإحدىٰ الحسنيين ما صدقوا الله تعالىٰ .

ثالثا : رسالة إلىٰ المجاهدين في كل أنحاء الشام شمالها وجنوبها وشرقها وغربها يجب عليهم التكاتف والاتحاد والاجتماع فإنهم ما اجتمعوا كانت لهم الهيبة والقوة والشوكة بإذن الله تعالىٰ .

3)كلمة حول مؤتمر الأمة الإسلامية لنصرة القضية السورية في بداية الحلقة 24 (البدع والشبهات)[٣١]

أقوال العلماء والدعاة والمصلحين فيما يتعلق بحق سوريا من وجوب النصرة بأنواعها يعتبر من الأمور الواجبة وكذلك مما يسقط التكليف الذي يكون على كاهل العلماء ;وذلك أن الله تعالى قد أوجب على العلماء القيام بأمره وأن ينصروا من أحتاج إلى النصر من المظلومين وأن يقيموا دين الله.

وبيان نصرة المظلومين في سوريا من الأمور المهمة وإن كان هذا البيان مُتأخر إلا أن ذلك من الأمور التي تُحمد وتُشكر ذلك لأن الله قد أوجب نصرة المظلوم ودعا إلى إغاثة الملهوف وإعانته ودفع الظالم والصائل أيًّا كان نوعه ، كيف وإذا كان ذلك فيه إعلاءٌ لكلمة الله ورفع رايته وصد للبغي والعدوان والظلم بجميع أنواعه وأشكاله .

ولهذا يجعل الله تعالى الأمة والعلماء في محل اختبار وامتحان في أمثال هذه المواضع خاصةً الفتن العظيمة والحوادث الجسيمة التي تحدث في الأمة ، ومن أعظم نوازل زماننا هي النازلة التي حدثت للمسلمين في سوريا وذلك من البغي عليهم دينًا ونفسًا وأرضًا وعرضًا ، مما يوجب على العلماء أن يتكلموا بالحق وأن ينطقوا به ، ولا شك أن السكوت ولو لم يتكلم الإنسان بالباطل شراكة في الإثم والعدوان;ذلك أن الإنسان إذا سمع المُبطل يتكلم بالبطلان وهو يعلم الحق ثم سكت عنه فهو شريك للمُبطل بهذا السكوت وهذا هو الضلال الذي وقع فيه بني إسرائيل من أحبار ورهبان وذلك أنهم سكتوا حينما أوجب الله تعالى عليهم شيئًا ثم تركوا للمبطل أن يقول بطلانه .

فيجب على العلماء ألا يدعوا أهل البطلان من وسائل الإعلام من المنافقين ومن أهل السياسة الجاهلين بأمر الله أو ربما منهم من يعلمها ولكنه يكابر فيها ، يجب عليهم ألا يدعوا الساحة لهم في بيان الحق بأن يقيسوا الأمور والنصرة والإعانة بين المسلمين بمقاييسهم السياسية المجردة والله يعلم وهم لا يعلمون فيجب عليهم أن يقيموا أمر الله سبحانه وتعالى.

---

٣١) شرعة ومنهاج الحلقة 24 http://www.youtube.com/watch?v=IcsO6j30GdI

والأمة الإسلامية لنحو قرن ممزقة الأشلاء وقد قسّمها عدوها إلى دويلات ، وأعطى كل دولة خطوط معلومة ورسموها لها ، وجعلوا لكل بلد حاكم يدير شأنه فأخذ كل حاكم يُنزّل نصوص الكتاب والوحي والولاء والبراء على ما هو عليه مما يرى من أمور جزئية ويعطّل ما عداها من واجب المسلمين الذين جعل الله أمرهم لُحمة واحدة ولهذا جاء عن النبي ﷺ الحث على اللحمة كما في حديث الجسد الواحد وحديث البنيان .

وأما إذا أراد الإنسان أن يستحوذ على يدٍ وعلى ذراع والآخر على قدم وعلى ساق ثم يريدون تقطيع أوصال هذا الجسد وألا يشعر الجسد بأمره لاشك أن هذا لا يستساغ من جهة العقل ولا من جهة النقل !.

يجب أن يُعلم أن الله تعالى أوجب على أهل العلم أن يقولوا كلمة الحق ، وما قاله العلماء والدعاة وكذلك الكتاب في نصرة إخوانهم في سوريا تجاه هذا النظام النصيري الذي استحل جميع أنواع المحرمات ومن يُعينه في هذا الأمر ، أن هذا من الأمور الواجبة عليهم ، وكذلك من الأمور التي تُحمد وتُذكر وتُشكر وفيه إسقاط للتكليف على العلماء .

ورسالة للعلماء الساكتين : ينبغي أن يتكلموا بأمر الله تعالى الذي يعلمونه ولا يحابوا في ذلك أحد ولا يجاملوا لا مصالحهم الذاتية ولا لمصالح غيرهم.

لذا أدعو كل عالمٍ وطالب علمٍ أن يحذو حذو أهل الحق في بيان الحق وإن اختلف معهم في بعض الوجوه التي أمر الله تعالى باجتماعٍ مع من شاطرك الحق ، فإن هذا من الأمور المتحتمة ومن السياسة الشرعية .

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمة المسلمين في سوريا على راية واحدة وأن يؤلف بين قلوبهم وأن يسدد رميهم وأن يعينهم على ما هم فيه من ابتلاء وشدة وكرب وأن يعين إخوانهم على نصرتهم قدر وسعهم وإمكانهم بما يستطيعون من سلاحٍ ونفسٍ ومالٍ وغير ذلك .

4) كلمة حول أحوال المحتاجين في سوريا .. في بداية الحلقة 39 (تحكيم الشريعة (3))[٣٢]

الكرب الشديد الذي ينزل بعدة بقاعٍ من بقاع بلدان المسلمين وخاصة الشعب السوري وذلك لاجتماع أنواع الظلم والبلاء بالحرب والخوف وفقد الأمن والجوع ونقصان الأنفس والأموال والثمرات بلاءٌ من الله تعالى قد جمعه الله على أهل الشام في هذا الوقت .

وواجب النصرة على المسلمين عمومًا من المتأكدات ويتعين الأمر ما أشتد الألم والبلاء وكانت القدرة لدى المسلمين أعظم .

ولهذا الشعب السوري وهو ما يزيد عن عشرين مليون نسمة وقد نزل بهم هذا البلاء فالمهمة والوجوب تصعد إلى ما هو أعلى المراتب إلى الحكومات بوجوب النصرة وكذلك ما أمكن القدرة وكلما كان الإنسان أقدر كانت العقوبة من الله أعظم وأقرب .

ولهذا تجب النصرة سواء نصرة المجاهدين بالسلاح والمال والنفس قدر الوسع والإمكان وحتى النصرة بالكلام بما أوجبه الله عز وجل ، والنبي صلى الله عليه وسلم حذر من الخذلان لقوله ﷺ (مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ)[٣٣] وذلك أن الجزاء من جنس العمل فعقوبة الله تكون بمقدار الكارثة والبلاء وبمقدار قدرة القادر فيجعل الله في ذلك العقوبة على القادر الخاذل .

فيجب على المسلمين أن ينصروا إخوانهم وهي فرصة وغنيمة لأن الله تعالى حينما يبتلى أحد في نفس الوقت هي غنيمة لمن يبدي استجابة أمر الله تعالى بالنصرة .

ولا يواكب الحدث مقدرة الأثرياء والسلاطين والحكام المالية وقدرتهم في الأمر والنهي ومع ذلك الخذلان مستمر وهذا لا شك نذير عقوبة وربما استدراج بأن الله يصرفهم عن أخذ الوقاية لينزل عليهم العقوبة .

---

٣٢) شرعة ومنهاج الحلقة 37 http://www.youtube.com/watch?v=xyT9sBggn34

٣٣) سبق تخريجه : انظر (20) .

وإذا أنزل الله تعالى عقوبة على أحد أو بلاء ثم أوجب النصرة على آخرين فخذل فيجعل على الخاذل

جملة من العقوبات :

أولها : العقوبة بالمثل .

ثانيها : الخذلان كما خذلت وأنت قادر على النصرة .

ثالها : تبديل الخاذل بناصر لأن سنة الله الكونية لابد من قيام العدل .

ولا يطول أمد الظلم وذلك لقول النبي ﷺ (إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ الظَّالِمَ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ . ثُمَّ قَرَأَ : وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ سورة هود آية 102)[٣٤] فلابد للظلم من أجل ودوامه محال لأنه يخالف السنة الكونية فالأخذ متحتم فيجب على المسلمين أثرياء أو عامة حكام أو سلاطين أن يتقوا الله في تجاهل الشعب السوري بمقدار النصرة .

وإذا كان الفعل لا يساوي الحاجة مع القدرة على سدها فيسمى الفرق بالخذلان .

والعجب حينما تنزل كوارث ببعض البلدان الغير إسلامية أحيانًا يبادرون بالإغاثة وإرسال الأموال وبناء البيوت وتوزيع الخيام ويستمرون بعرض الأموال الطائلة أما بلدان المسلمين مع القتل وشدة البرد تجد تضييق في النفقة والنصرة ومنع الإغاثة بل ربما حتى بالكلام وهذا لاشك من أسباب تعجيل العقوبة فيجب على المسلمين أن يتداركوا هذا الاختبار .

والخذلان لاشك مؤشر إلى موت قلب الأمة وإدعاء الإسلام وهي من جهة الحقيقة ميتة الأطراف وذلك لأنه إذا تألمت اليد ثم لم تشعر اليد الأخرى فهذا دليل على التخدير إما في الطرف الآخر أو في جميع الأطراف فإذا لم تتداعى الأمة لثغر من ثغورها فدليل على دعوى الزيف بالإسلام والتخدير بمتاع الدنيا ولهوها فيجب النصرة سواء كانوا في سوريا أو في أفريقيا أو في بورما وغيرها من بلدان المسلمين فالنصرة متأكدة وواجبة وعلى القادر أقرب وعقوبة الله منه أكبر في حال خذلانه.

٣٤) رواه البخاري في صحيحه، الجزء الثالث. 68 - كتاب التفسير. 176 - باب: قوله: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} /102. الحديث رقم : [4409] وأخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، رقم:[2583].

5) كلمة حول الشتاء ونازلة أهل الشام .. في بداية الحلقة 42 (أحكام الشتاء)[٣٥]

من أظهر النوازل الحديثة ما يتعلق بأزمة الشام والكوارث المحيطة بها ومسألة اللاجئين سواء كانوا بالداخل أو بالخارج فعددهم بالملايين والقيام بواجبهم لا يتعدىٰ حالهم فضلا عن خذلان المجاهدين في بالنصرة والتأييد حتىٰ يتموا ما أمرهم الله من نشر الدين وإقامة العدل في الأرض.

واجتماع البلاء علىٰ اللاجئين من البرد والخوف والجوع هو بئس الضجيع فقد اجتمع عليهم البلاء في موضعٍ واحد مع أن البلدان المحيطة بهم بلدان غنية فيها من الأمن والشبع والرحمة والأمان ما هو نذير خطر وشؤم عليهم أثر الخذلان .

فيجب علىٰ المسلمين النصرة قدر الوسع والإمكان بإغاثة اللاجئين وتدفئتهم وكفاية مؤنتهم .

وقد جاء (عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قَالَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَارِ أَوْ الْعَبَاءِ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنْ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحَشْرِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ قَالَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلْ قَدْ عَجَزَتْ قَالَ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)[٣٦] .

---

٣٥) شرعة ومنهاج الحلقة 42 http://www.youtube.com/watch?v=o0FK3v6YQ1U

٣٦) رواه مسلم في (كتاب الزكاة) (باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) حديث (1017) وانفرد به عن البخاري ، وأخرجه النسائي في (كتاب الزكاة) (باب التحريض على الصدقة) حديث (2554) ، وأخرجه ابن ماجه في (المقدمة) (باب من سن سنة حسنة أو سيئة) حديث (203).

فواجب المسلمين النصرة وإعانة المظلوم بمقدار الظلم النازل عليهم ، وإذا لم تتحقق النصرة والعونة فإن هذا أمارة إلى نزول عقاب الله على الخاذلين لإخوانهم .

فيجب على المسلمين الإغاثة والنصرة في النفس والمال والسلاح قدر الوسع والإمكان والقيام بحقهم من جهة شد الأزر وحفظ الأعراض .

والقضية قضية أمة وليست قضية فرد أو دولة ولهذا النبي ﷺ جعل النصرة والعزة متعلقة بالأفراد لا بالكيانات العامةوهذا لحديث البنيان المرصوص وحديث الجسد الواحد فهي أطراف متنوعةوهؤلاء الأطراف هم الأفراد ، وكما جاء في حديث الخذلان فالجزاء يكون من جنس العمل .

والدول المحيطة بالشام وجب عليها النصرة بمقدار قربها وقدرتها على النصرة وكلما كان الإنسان أقدر وأقرب فالوجوب عليه أجلى وأظهرفالنصرة تجب بمقدار القرب والقدرة وكلما كان المسلم أقدر على نصرة المظلوم ثم خذله كان عليه الخذلان والعقوبة أقرب .

لهذا الواجب على المسلمين التكاتف أفراد ومؤسسات وشعوب وجماعات وعلماء على نصرة الشعب والتناوب في مواضع الخلل والتقصير فهذا مما يعذروا به ولا تنزل عليهم تلك العقوبة .